تأليف المطران :
ستيفن نيل

تعريب وعرض :
د. نبيل صبحي

مقتطفات من تاريخ
البعثات التبشيرية النصرانية

مقدمة

□□ قال السفاح الصهيوني المنكر (موشي ديان) مرّة ، بتحدٍّ ساخرٍ ، : « إنّ العَرَبَ لا يقْرؤون » ولعلَّ هذا الوصف ينسحب على عامة المسلمين .. ويا للأسف . لقد صدر كتاب « تاريخ البعثات التبشيرية النصرانية » في طبعته الأولى عام ١٩٦٤م ، وقرأتُهُ وعرَّبْتُ بَعْضَ مضمونه عام ١٩٦٦م : .. ومنذ ذلك الحين .. وحتى هذه الساعة ، على حَدِّ علمي ، لم يهتم بهذا الكتاب الخطير أحَدٌ من المسلمين .. وعددهم تجاوزَ المليار من النَّاس ...!! أَلَيْسَتْ هذه عَيْنَ الغفلة ؟؟.. اَللّهمَّ غُفْرانَكَ ...! .

واليوم .. وبعد خمسة عشر عاماً ، أَعُودُ مرّةً أُخرى لهذا الكتاب - ولقد أُعيد طَبْعُه خلال هذه الفترة ستَّ مرّات آخرها عام ١٩٧٩م - ، والغاية هي أن يعرف المواجهون للتبشير وعقابيله خَلْفِيّاتِهِ ونقاطَ ضَعْفِهِ وقُوَّتَه . فالتَّبْشير .. كان - ولا يزال - يَعْمَلُ تخريباً بالمُجْتَمَعات المسلمة منذ مئات السنين ، ولَمْ يَقُمْ مسؤولٌ واحد ، حتَّى الآن ، في العالم المسلم بمنْعِ هذا السَّرطان من الانْتِشار في الجِسْمِ الخائر لهذه المجتمعات المسلمة التي أَرْهَقَتْها الخُصُومات الدَّاخليَّة وأَنْهَكَتْها العَداوَاتُ الخَارِجيَّة ؛ والحمد للّه الَّذي لا يُحْمَد على مَكْرُوه ... سِواه ، وأرجوه مخلصاً أن يَجْعَلَ في العَوْدَة لهذا الكِتاب .. تذكيراً .. إنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ المؤمنين □□

تعريف بالكتاب والكاتب

صَدَرَ الكتاب عام ١٩٦٤م من دار (بليكان) في سلسلة منشوراتها عن تاريخ الكنيسة ، مُشَكِّلاً الجزء السادس من هذه المجموعة ، وهو في ستمائة صفحة من القطع الوسط ، أمّا مؤلفه فهو المبشر (ستيفن نيل) الذي قضى عشرين عاماً من عمره عاملاً في هذا الحقل بجنوب الهند ، حيث ارْتَقى في أواخرها إلى رُتْبَة (مطران) ، ثم عاد عام ١٩٤٤م إلى أوروبا بسبب اعتلال صحته وأصبح أستاذاً للتبشير واللاهوت المسكوني في جامعة (هامبورج) - من عام ١٩٦٢م إلى عام ١٩٦٩م - ، ثم أستاذاً للفلسفة والدراسات الدينية في جامعة (نيروبي) الحديثة بكينيا - في شرق أفريقيا - حتى عام ١٩٧٣م

ويروي المؤلف في هذا الكتاب تاريخ توسع التبشير النصراني منذ استولت النصرانية على العالم الروماني .. إلى الطفرة الضَّخمة في النشاط التبشيري التي واكبت أيّام (عِزِّ) الاستعمار ! ويختم المؤلف الموضوع بنظرة (ذكيّة) ! - على حدّ تعبير مقدمة الكتاب - إلى ما سيحمل المستقبل للكنيسة في جميع أنحاء العالم .

وأهمية الكتاب هي في اعتراف المؤلف بالمخازي الكثيرة التي طَبَعَتْ فَتَراتٍ من تاريخ التبشير الكنسي .. ومع أنّ المؤلف لم يقل .. كل الحقائق في هذا الموضوع إلّا أنّه ، كشاهد .. من الأهل ، ذَكَرَ بعضها على الأقل .

يقول (نيل) في الفصل الأول من الكتاب :

« إن كنيسة الجيل الأول من النَّصارى كانت أصلاً كنيسة تبشيرية ، ويعتقد المؤلف أن المحرك الرئيسي في هذا الاتجاه كان بُولُص (واسمه الحقيقي شاؤول الطرطوسي الذي نَشَأَ وتَرَبَّى يَهُودِيًّا مُتَشَدِّداً) ؛ وفي القرن الميلادي الثاني كان للنصارى ثلاثة مراكز مشهورة في البحر المتوسط : انطاكية والاسكندرية وروما ؛ وليس معروفاً مَنْ أسَّسَ كنيسة انطاكية وكنيسة الاسكندرية ؟ أمّا كنيسة روما فمن المحتمل أن (بولص) و (بُطْرُس) أسْهَمَا في تنظيمها إلاّ أنّهما لم يكونا - قطعاً - المؤسِّسَيْنِ لها ، ويختم (نيل) هذا الفصل بقوله : « كانت الكنيسة جسم المسيح وفيها استوطنت رُوحُهُ ؛ والشيء الذي بَدَأَهُ المسيح .. كان على الكنيسة أن تستمر فيه دائماً وأبداً

□ كانت هناك خسارة مستمرة في المعسكر النصراني بسبب اعتناق النصارى للاسلام وأعجب مافي الفتوحات الاسلامية : الخسارة القليلة في الأرواح والانهيار السريع جداً للحضاره النصرانية .

وفي أقاصي الأرض » .

وفي الفصل الثاني من الكتاب وعنوانه :

« الاستيلاء على العالم الروماني سنة ١٠٠ ـ ٥٠٠م » يتحدث (نيل) عن كيفية توسع الكنيسة في أوروبا وأسلوب التنصير الذي أتبع لهذه الغاية ، والمجموعات البشرية التي (عُمِّدَتْ) بالقوة والإكراه .

توعية الناس الذين قبلوا في أحضان الكنيسة . .

يقول المؤلف في الصفحة (٥٩) من الكتاب ما يلي :

« في أواخر القرن الخامس الميلادي صارت أوروبا الغربية مطمعاً للغزاة الذين جاؤوها من أحراج ألمانيا وسهول أوروبا الوسطى ، ومع أن الفرنك ـ الفرنجة ـ هم الذين أعطوا لفرنسا اسمها الحالي إلا أنهم من العنصر الجرماني ، وكانوا حتى ذلك الحين من الوثنيين ، وفي عام ٤٩٣م تزوج ملكهم (كلوفيس) أميرة نصرانية ـ كلوتيلدا ـ التي حاولت عبثاً أن تحوّله إلى النصرانية ، ولكن عندما هدّد الألمان مملكته أقسم أن يصبح نصرانياً . . إذا انتصر في حربه معهم . ـ وهكذا كان ، ففي عيد الميلاد لعام ٤٩٦م (تعمّد) هو وثلاثة آلاف من مقاتليه » .

ويحاول (نيل) التخفيف من (غرابة) الطريقة التي اعتنق بها هؤلاء المحاربون دين النصرانية فيقول :

« يجب ألا نأخذ قصة (عمادتهم) بالمفهوم الحرفي ـ كذا ـ وهي أنه حين أرادوا (تعميدهم) رفع (كلوفيس) وجنوده أيديهم فوق رؤوسهم شاهرين السلاح معلنين : ان إله النصارى يستطيع أن يأخذ كل شيء . . . إلا أيديهم التي تحمل السلاح . . فتبقى مستقلة عن الإله » .

ولكن (نيل) يعود ليعترف بالحقيقة فيقول :

« إلا أن القصة هذه تعطينا مغزى حقيقياً ، فعندما دخل هؤلاء البرابرة الكنيسة وأصبحوا نصارى لم يجليوا معهم بساطة الناس الأميين الجهلة ، فلقد علمنا من مؤرخي القرن الذي تلى أن ما جلبوه معهم ـ للكنيسة ـ هو : الفوضى الشرسة والميل للبطش ، والوحشية والتطرّف » .

ويبدأ (نيل) الفصل الثالث بقوله :

« في أواخر الفصل الثاني ذكرت أن الكنيسة واجهت بعد عام ٥٠٠م جبهتين : الصراع مع البرابرة ، والمعركة التي لا تنتهي مع الإسلام » .

وبعد أن يتحدث عن موجات الغزو البربري من أواسط وشمال أوروبا إلى غربها ، يقول :

« كان أهم عمل للكنيسة الغربية مدة خمسمائة عام ، مصارعة البرابرة في محاولة لجعل أعتناقهم للنصرانية . . أكثر من مجرد شيء رمزي ، وفي غمار ذلك وجدت الكنيسة نفسها تتحول من امبريالية إلى كنيسة الطاعية ، وحوالي عام ١٠٠٠م تجحت ـ في الظاهر على الأقل ـ إلا أن هذا (النجاح) ، كما سنرى ، كان أبعد ما يكون عن التمام » (ص : ٦٢) .

نشر النصرانية بالسيف

المتطفلات التالية في هذا الباب . . هي برسم المبشرين والمستشرقين المغرضين وأضرابهم . . الذين لا زالوا يدّعون ـ كذباً ـ أن الاسلام أنتشر بالسيف .

في سياق حديث المؤلف عن (شارلمان) ووصفه بأنه أحد أكبر الشخصيات في تاريخ الكنيسة وأنه كان يهتم باللاهوت والمعرفة . . إلا أنه ـ أي شارلمان ـ كان « ابن زمانه » على حد تعبير المطران (نيل) ، ويتابع المؤلف كلامه ، بالحرف الواحد ، « ولقد سجلنا لاحقاً في هذا الفصل أعمال عُنف وقسوة تعكس وحشية وفظاعة تلك المرحلة من التاريخ التي لم تعرف الرحمة ، ولقد سُجّل عن (شارلمان) حادثة ذُبح فيها في يوم واحد فقط (٤٥٠٠) شخص من الساكسون ، وكان من بعض القوانين التي أصدرها : « كل ساكسوني لا يدخل النصرانية ، أو يحاول التهرب أو الرفض . . يُقتل » (ص : ٧٨ـ٨٠) .

وفي الصفحة (٨٣ و ٨٤) من الكتاب يقول نيل : « وفي سبيل توحيد مملكته النصرانية اعتمد الامبراطور (ليون) الثالث (٦٧٥ـ ٧٤٠م) ، في القسطنطينية ، طريقة تنصير اليهود بالقوة » ثم يتحدث (نيل) عن الكيفية التي فُرضت فيها النصرانية على مناطق بروسيا ولتوانيا وما حولها فيقول في الصفحتين (١١٠ و ١١١) ما يلي :

« في جنوب وشرق بحر البلطيق كان يعيش بروسيون ولتوانيون ومجموعات

□ أغلب الصليبيين يعتقدون أن المسلمين من المشركين الذين لا حق لهم في الوجود ولا حاجة لمعاملتهم بشرف ويمكن ذبحهم بلا رحمة ولا شفقة في سبيل مجد إله النصارى.

من العناصر الأخرى المُوَحَّدة فقط في تصميمها على رفض النصرانية »، وبعد أن يذكر (نيل) أن النَّصارى غزوا هؤلاء النَّاس من جهاتٍ أربع يستطرد قائلاً: « مهما كانت نظرتنا للطريقة (!) التي اسْتُعْمِلتْ أخيراً، لا يستطيع التاريخ أن يُنكِرَ أنْ إدْخال هذه المناطق في العالم النصراني كان عن طريق حملات الفرسان ـ الصليبيين ـ التوتونيين الذين تشكَّلت وحداتهم عام ١١٩٨ ـ ١١٩٩م على يد تجار (بريمن) ليساعدوا في الأصل، المصابين من الصليبيين في حصار (عكّا)، ثم نقلوا بعد ذلك إلى حدود بروسيا وأقنعوا أن يخدموا الكنيسة على أساس أن يتملَّكوا الأرض التي يستولون عليها من الوثنيين شرط أن يُعلِّموا هؤلاء الدين النصراني.. كتعويض عن الاستيلاء على أراضيهم!! »، ويتابع (نيل):

« وبعد ذلك عندما دخل المطارنة هذه المناطق خصَّص لهم (البابا) ثُلُثَ الأراضي وأبقى للغزاة الصليبيين الثُلثين... »، « وبعد خمسين عاماً من الغزو توقَّفت مقاومة هذه الشعوب وانضمَّت بروسيا إلى العالم النصراني »... وفي اتفاقية الاستسلام أعطي الغزاة مهلة شهرٍ لكي يتحول الناس جميعاً إلى النصرانية قرضاً »، ويختم نيل كلامه في هذا الصدد قائلاً:

« ... وهكذا نرى أن كل جهاز نصرانية القرون الوسطى جاء مصاحباً للغزوات العسكرية وان نصوص الاتفاقيات ـ للاستسلام ـ كانت أبعد ما تكون عن النصيحة اللطيفة المؤدَّبة »...

« أمّا إلى أي مدى كان الاقتناع الداخلي بالنصرانية.. بعد القبول الظاهري لها ـ عند هؤلاء الناس ـ فأمر مشكوك فيه.. وهذا سؤال لاحقنا منذ حمل (شارلمان) السيف لتحويل الساكسون إلى النصرانية.. بل منذ قام التعميد الجماعي لـ (كلوفيس وجنوده) عام ٤٩٦م ».

وفي نفس الفصل يتكلم (نيل) عن الفتح الإسلامي كأنما يُقارن ـ ضمنياً ـ بينه وبين ما فعله النصارى في غزواتهم، كما سبق ذكره، فيقول في الصفحة (٦٣) من الكتاب ما يلي:

« كانت هناك خسارةٌ مستمرة في المعسكر النصراني بسبب اعتناق النصارى للإسلام، إلاّ أن أعجب ما في الفتوحات الاسلامية هو: الخسارة القليلة جداً في الأرواح والانهيار السريع جدًّا للحضارة النصرانية، ولقد بَقِي عدد كبير من النصارى على دينهم إذ لم يشأ المسلمون لا إبادة النصارى ولا تحويلهم كلهم ـ بالقوة ـ إلى الاسلام.. ولقد ارْتَقَىٰ عددٌ من النَّصارى إلى مناصب عاليةٍ في الدولة الاسلامية ».

الحروب الصليبية
تمويه واعترافات:

يبدأ (نيل) حديثه عن الحروب الصليبية بالجملة ـ المُعَبِّرة ـ التالية:

« كانت الحروب الصليبية أوّل الأعمال الكبيرة ليقظة أوروبا » ـ كذا ـ، وهذا يعني أن المؤلف، رغم النقد الذاتي الذي يظهر هنا وهناك في كتاباته عن هذه الحروب، كما سنرى لاحقاً، يعتبر الحروب الصليبية « جلائل أعمال اليقظة الأوروبية »!!! ويظهر الحقد الأسود والنِّفاق المكشوف في قوله، في الصفحة (١١٣) من الكتاب:

« ولفكرة تحرير الأرض المقدَّسة من أيدي المشركين![1].. لم تكن عملاً لئيماً بذاته، فلقد حمل البعض السلاح لأسباب أدْنَى من هذه!!! لقد كانت ضربة ذكيَّة من البابوات لتحويل النشاط القلق لطبقات الفرسان حتى لا يضيع سُدى في صراعاتهم الدَّاخلية التي دمَّرت أوروبا الغربية، فالذين سقطوا في الأرض المقدَّسة.. كانت هالة (الشهادة) تحيط بموتهم في سبيل النصرانية، أمّا الذين عاشوا من الصليبيين فكان لهم أمل في مكاسب ماديَّة كبيرة نتيجة « جهودهم الروحية »!!... أراضٍ جديدة يستولون عليها بعيداً عن أوروبا التي لم تكن أمًّا كريمة لأبنائها الشباب، ولا مِراء أن الحروب الصليبيَّة علَّمت أوائل القرون الوسطى، فلقد وعى النصارى ـ الغربيون ـ أن هناك عالماً آخر وحضارةً أخرى أكثر تقدماً، في نواحٍ عدَّة، من حضارتهم ». ثم يعود (نيل) للاعتراف بالحقيقة فيقول:

« ... ولكن بعد أن قيل كل ما يمكن أن يُقال عن الوجه المواتي للحروب الصليبية، يجد النصراني نفسه مضطراً إلى الحكم بأن الحروب الصليبية كانت كارثةً نصرانية لا يمكن إصلاحها »..

« لقد جعلوها رومانطيقية في القصص الخرافية... ولا شك أنَّه كان بين الصليبيين بعض الرجال المستقيمين (!) من ذوي العقل الرّاجح مثل (غودفري

كتاب في مقال

إن الحروب الصليبية علمت أوائل القرون الوسطى فلقد وعى النصارى الغربيون ان هناك عالماً آخر وحضارة أخرى أكثر تقدماً .

دوبويون) أوّل ملك نصراني للقدس ، إلّا ان أغلب الصليبيين كانوا يعتقدون أن المسلمين هم ، ببساطة ، من المشركين الذين لا حقّ لهم في الوجود ، ولا حاجة لمعاملتهم بشرف ، ويمكن ذبحهم بلا رحمة ولا شفقة في سبيل مجد إله النصارى » !! .. « وهكذا خلال فترة قرنين مرّا ما بين عام ١٠٩٩م تاريخ أوّل غزوة صليبية للقدس .. وضياع آخر معقل قوي للصليبيين في عكا عام ١٢٩١م ، أصبح عالم البحر المتوسط قاتماً بسبب غيوم من الكراهية أكثر تاماً ، والذي زاد في المصيبة هو أن هذه الكراهية أثيرت باسم المسيح » .

الحروب الصليبية عار النصرانية

ويتابع (نيل) :

« ولقد لطخت الحروب الصليبية التاريخ النصراني بصورة لا يمكن محوها تقريباً وذلك لأسباب ثلاثة :

١ ـ لقد أضرّت بصورة دائمة بالعلاقة بين فرعي النصرانية ـ الشرقي والغربي ـ ، كان الصليبيون ضيوفاً (!) في العالم الشرقي الذي كان ولم يزل في المنطقة التابعة لبطريركيّات المشرق ؛ ولقد اعترف الصليبيون ، في البدء بمركزها المناسب ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً إذْ أسّسوا بعد ذلك بطريركيّات لاتينية تابعة للكنيسة الغربية في روما ؛ ولم يكن مستغرباً أن يستنكر رجال الكنيسة في المشرق ، ذلك ، وبلغ سوء العلاقة ذروته عندما تحوّلت الحملة الصليبية الرابعة عن هدفها الأصلي فهاجمت ونهبت القسطنطينية البيزنطية عام ١٢٠٤م ، وأسست على أنقاضها امبراطورية لاتينية ضعيفة ، وبعد ستين سنة جاء ردّ فعل البيزنطيين !! ـ النصارى ـ بطرد الغزاة الصليبيين وإعادة تأسيس امبراطورية شرقية إلّا انها لم تكن سوى شبح للامبراطورية البيزنطية السّابقة ، فلقد أضعفها الصراع المستمر مع الصليبيين ، وعندما سقطت القسطنطينية بيد العثمانيين عام ١٤٥٣م ظهر مدى الذنب الذي يحمله الصليبيون في مسؤوليتهم عن ذلك » .

٢ ـ « تركت الحروب الصليبية آثاراً من المرارة في علاقات المسلمين والنصارى بقيت عاملاً حياً مؤثراً في الموقف الدولي حتى اليوم . فبالنسبة للمسلمين : الغرب هو أكبر المعتدين ، منذ حوالي ٩٠٠ عام قام الغرب بعدوانه ـ باسم المسيح ـ ، وفي أيامنا هذه يجد الغرب أنه من الصعب جداً تغيير صورته التي لا تزال ماثلةً في أذهان المسلمين ، ولا يعني هذا أن المسلمين كانوا دائمًا لطيفين ومسالمين ، كانوا عدوانيين بما فيه الكفاية كلما تيسرت لهم الفرص والقوّة (كذا) ، ولكن المسلمين على كل حال لا يدّعون انهم أتباع (أمير السلام) .

وبالنسبة للغربيين ، قد يبدو لهم ان الحروب الصليبية حدثت منذ مدة طويلة ، ولقد شيع الصليبيون رُقاداً في قبورهم في الكنائس الانكليزية الهادئة ، إلّا أن لدى الشرق مقياساً زمنياً مختلفاً ، فبالنسبة لكل مسلم في حوض البحر المتوسط : الحروب الصليبية هي حادثة من الأمس القريب[1] ، والجروح المندملة مستعدة أن تنكأ من جديد في أية لحظة » .

ويتابع (نيل) كلامه :

٣ ـ « سببت الحروب الصليبية انحطاطاً في أخلاق الامبراطورية النصرانية ، ولقد توقعنا ذلك ، بالإشارة إلى ما يمكن أن تتمخض عنه الصليبية ، عندما وجّهت لحرب البرابرة الوثنيين في شمال أوروبا ، ولم يمض وقت طويل حتى ظهر لـ (إنوسانت) الثالث أنّه يمكن استعمال نفس الأساليب والمبادىء الصليبية في قمع الهراطقة (!) من النصارى (أنفسهم) ، والوحشية التي اجتاحت منطقة (بروفانس) في أيام (سيمون دي مونفور) وما بعدها .. كانت إعادة ، بترتيب مختلف ، للوحشية التي صاحبت الاحتلال النصراني للقدس » .

وينقل (نيل) في إحدى حواشي الكتاب (صفحة ١١٥) عن (ز . اولدنبورغ) من كتابه (مذابح في مونت سيغور) الصادر عام ١٩٥٩م قوله :

« اتخذ المجلس اللاتيراني عام ١٢١٥م الحزمة الأخلاقية للكنيسة وقننها في قوانين ، لم يكن (البابا) جاهلاً ما اقترفه الصليبيون من الآثام الفظيعة والأعمال الوحشية ، فبعد احتلال (بيزييه) كتب له رئيس الدير (سيتو) بصراحة مفزعة ، قائلاً : حوالي عشرين ألفاً من هؤلاء الناس ـ أي المسلمين ـ ذبحوا بالسيف دون اعتبار لعمر أو جنس » .

ويتابع (نيل) :

« ومن المستحيل اليوم الاعتراض على الحكم المبادىء للمؤرخ (س . رونسيمان) في كتابه (تاريخ الصليبيين) الصادر عام ١٩٥٤م إذ قال :

« إذا نظرنا إلى الحركة الصليبية بمنظار تاريخي نرى أنها كانت (فياسكو كبيرة) ـ أي فشلاً ذريعاً ـ ، وانتصارات الصليبيين كانت انتصارات إيمان .. إلّا أن الإيمان بدون حكمة هو أمر خطر ، والمؤرخ الذي يلقي نظرة عبر القرون ، على حكاياتهم الباهرة يجد أن إعجابه

□ تركت الحروب الصليبية آثاراً من المرارة في علاقات المسلمين والنصارى بقيت عاملاً حياً مؤثراً في الموقف الدولي حتى اليوم .

مغطى بالأسف لما حملته الحكاية هذه من شهادة على محدوديات الطبيعة البشرية : كان هناك الكثير من الشجاعة .. والقليل من الشرف ، الكثير من الإخلاص والقليل من الفهم ، تلوثت المثاليات العالية بالقسوة والوحشية والأطماع ، وتلطخ النشاط والصبر بضيق أفق أعمى من قناعة ذاتية بالصوابية ، والحرب المقدسة لم تكن أكثر من عمل طويل من أعمال التعصب باسم الإله ، وهذه خطيئة ارتكبت ضد الروح القدس » .

ويستمر المطران (نيل) في سرده فيقول :

« أغلبُ الصليبيين - على ما يبدو - حملوا الفكرة القائلة إنه لا يمكن عمل أي شيء تجاه هؤلاء الكفار - أي المسلمين - غير استئصال شأفتهم أو تحويلهم إلى رقيق يعيشون حياة عبودية دائمة ، فهم كـ (كفّار) مقدر لهم أن يكون مصيرهم إلى جهنم على كل حال ، وإذا سمح لهم بالحياة فبسبب الخدمات التي قد يستطيعون تأديتها للمؤمنين النصارى .. ولم يكن هناك إلّا القليل ممن اعترضوا على ذلك ، قال (روجر بيكون) :

« إن الحملات الصليبية كانت جنوناً كلّف كثيراً دونما فائدة . وقال (توماس الأكويني) : حتى المشركين .. لهم بعض الحقوق الطبيعية التي يجب احترامها !! ، على كل حال ، كان (فرنسيس الأسيزي) أول النصراني يحاول أن يعمل في إطار هذه المبادىء الليبرالية ، وكانت قناعته أن عدم تحول الكفار (!!) إلى النصرانية سببه عدم تقديم النصرانية إليهم ببساطتها وجمالها ، وحاول هو نفسه ، ثلاث مرّات الوصول إليهم : المحاولتان الأوليان عندما سافر إلى المغرب عام ١٢١٢م ، وإلى الأندلس عام ١٢١٤م .. لم تثمرا ، ولكن في عام ١٢١٩م ، عندما كان الصليبيون معسكرين في مصر ، في الحملة الخامسة التحق (فرنسيس الأسيزي) بهم ونجح في الوصول إلى حضرة السلطان ، ومن غير المحتمل أن يكون السلطان قد فهم كثيراً مما حاول قوله له هذا الرجل الصغير الغريب الآتي من إيطاليا ، إلّا أن (رجال القداسة) يحترمون دائمًا في الشرق ، لذا يبدو أن السلطان أحاط (فرنسيس) برعاية وكرم ظاهرين ، ورحلة (فرنسيس) إلى مصر كانت أكثر من تعبير عن اهتمام شخصي وحماس تبشيري ، لقد عنت أن روحاً جديدة ظهرت في العالم النصراني ، وأن تحولاً مهمًا كان على وشك الوقوع في الأساليب التبشيرية للكنائس النصرانية » .

ويتابع (نيل) تحديده للبدايات الواضحة للأساليب التبشيرية الجديدة قائلاً :

« وخلال خمسة قرون كان (الدير) قلب النشاط التبشيري ، وكان العنصر الثابت في عالم متغير باستمرار ؛ ومن هذه الفترة ، ولقرنين كاملين ، احتل نظامان كبيران من الإرساليات الرهبانية مركز الصدارة : وهما (الفرنسيسكان والدومينيكان) ، وحتى قيام إرسالية اليسوعيين في أواسط القرن السادس عشر والسابع عشر سنسمع عن هذين النظامين أكثر من أي فئة أخرى ، وكان بينهما طبعاً اختلاف بيِّنٌ في الأهداف والغايات (ففرنسيس) (سنة ١١٨١ - ١٢٢٦م) عاش ليعيد البساطة والمرح للعالم النصراني ، ولبطلق قوى جديدة في خدمة المعدمين . أمّا (دومينيك) (سنة ١١٧٠ - ١٢٢١م) فكان لإرساليته طابع أخشن ، ونذرت نفسها لتحويل الهراطقة إلى الدين النصراني بخاصة عن طريق التبشير ، إلّا أن الاندفاع لتبشيري كان موجوداً في النظامين معاً . وقبل نهاية القرن الثالث عشر الميلادي سنرى (الفرنسيسكان) في أطراف الأرض المعروفة آنذاك ، وحوالي عام ١٣٠٠م شكّل (الدومينيكان) : جمعية الاخوة العاملين في سبيل المسيح في البلاد الأجنبية .. بين الكفّار (!) » (ص : ١١٧) - انتهى كلام المؤلّف - .

ولا زال هذان النظامان التبشيريّان - وغيرهما عشرات الجمعيات - يرتعان ويمرحان ويغربان في المجتمعات المسلمة دون رقيب أو حسيب ، وأولو الأمر غافلون حتى يومنا هذا .. اللّهم إليك المُشتكى .. ولك الأمر مِنْ قَبل ومن بَعْد .

هـــــوامش

(١) يطلق المطران (نيل) كلمة « المشركين » على المسلمين .. في الربع الأخير من القرن العشرين .. في نفس الوقت الذي ينادي فيه (بابا روما) بالدعوة إلى تحسين الصلات بين المسلمين والنصارى لأن الفريقين يشتركان في الإيمان بالله .. فما هذا التناقض في المواقف ؟ ومن منها يجب أن نصدّق ؟؟

(٢) رغم أن الجنرال (اللنبي) قال في ختام الحرب العالمية الأولى ، بعد دخوله القدس : « الآن انتهت الحروب الصليبية » ، إلّا أن الصليبية لا زالت مستعرة الأوار حتى يومنا هذا ، فلقد ارتكبت مذابح للمسلمين في جنوب الفلبين على يد الكاثوليكي (ماركوس) بعد مشاورة (البابا) شخصياً مباشرة ، كذلك مذابح الرئيس (التنزاني) الكاثوليكي أيضاً (نيريري) للمسلمين في شمال أوغندا ، فلقد ذكرت الأنباء الرسمية - الغربية - أن خمس مائة تقريباً من المسلمين قد أبيدوا في شمال شرقي أوغندا في الأشهر القليلة الماضية .